



هدنة انتخابية

عندما استقال ايهود باراك من رئاسة الحكومة الاسرائيلية قبل عامين ودعا الى انتخابات مبكرة، لم يكن يتصور قط انه يفتح الطريق امام ارييل شارون ويطلق العنان امام آلة حرب عمياء. واذ يضطر شارون بدوره اليوم الى استدعاء الجسم الانتخابي قبل الأوان، فانه لا يتخيل انه قد يخسر موقعه، اللهم امام من يساويه تطرفاً مثل بنيامين نتنياهو.

غير ان ما صحّ في انتخابات ٢٠٠١ قد يصحّ في انتخابات ٢٠٠٣، او بالاحرى ان العكس قد يصحّ، فتكون الحملة الانتخابية مناسبة لكبح منطلق الحرب واستنهاض معسكر السلام، وصولاً الى استعادة حزب العمل رهانات بدايات التسعينات. في الظاهر، تبدو الظروف غير ملائمة على الاطلاق. فمن الواضح مثلاً ان غالبية المجتمع الاسرائيلي لا تزال سكرى بالعنف، رغم الخسائر الاقتصادية المتزايدة التي تعانيتها اسرائيل من جراء حربها المفتوحة على الفلسطينيين.

ثم ان التزامن بين الحملة الانتخابية وموسم التصعيد الاميركي ضد العراق، من شأنه تغذية الغريزة الامنية عند الناخبين لمصلحة قوى التطرف اليميني. بيد ان رهان شارون و/او نتنياهو ليس مضموناً على الاطلاق، ولا يمكن استبعاد المفاجأة. أليس الدرس الاعمق الذي يمكن استخلاصه من الحياة السياسية الاسرائيلية انها باتت تفتقد الثبات؟

تكفي للتأكد من ذلك مراجعة ما حصل منذ سقوط اسحق شامير بعيد انطلاق مسيرة مدريد: انتخاب اسحق رابين فتخوينه فاغتياله، انتخاب بنيامين نتنياهو فسقوطه المدوي، فوز ساحق لايهود باراك فهزيمة نكراء، انتخاب شارون فانفراط عقد حكومته... وعليه، لن يكون مستغرباً ان يلي الانعطاف الاخير الى اليمين انعطاف جديد الى اليسار، ليس فقط عملاً بمبدأ المداورة غير المعلن، ولكن خصوصاً لأن حزب العمل بات مدعواً الى استعادة الموقع الذي تخلى عنه بسبب ايهود باراك.

صاحب الدعوة اسمه عمرام متسناع، رئيس بلدية حيفا الذي يفترض فيه ان ينتزع رئاسة الحزب في ١٩ الجاري من بنيامين بن اليعازر، بعدما نجح في نيل تأييد معظم القيادات اليسارية والوسطية في الحزب، وأخرها دعم منافسه حاييم رامون. واهمية ظاهرة متسناع انه يبدو كليا "خارج الصحن"، اذ لا يخفي تأييده قيام دولة فلسطينية ولا اقتناعه بضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي الفلسطينية المحتلة.

غير ان هذه اللغة التي تبدو كأنها من عصر آخر، قياساً بالتوجهات الراهنة للرأي العام الاسرائيلي، لم تمنع هذا الجنرال السابق من اثارة حماسة كبيرة بين مناضلي حزب العمل الذين شعروا انهم وجدوا، من حيث لم يتوقعوا، ضالتهم المفقودة منذ ضياع ايهود باراك فرصه الذهبية. واذا اضفنا المميزات الاخرى التي يتمتع بها متسناع، مثل الكاريزما والخبرة العسكرية، وهي على الدوام عنصر اطمئنان في اسرائيل، فضلاً عن علاقته المميزة مع الاقلية العربية، لن يكون مستحيلاً ان تنتقل هذه الحماسة من صفوف حزب العمل الى الجسم الانتخابي. يبقى ان الانتخابات الاسرائيلية لا تجري في فراغ، والناخب الاسرائيلي ليس وحده من يصنع القرار. ليس بمعنى ان مجلساً دستورياً ما سينصب نفسه مكان الناخبين فيعين الفائز على ذوقه، ولكن من حيث انعكاس الاداء السياسي لمجموعة من اللاعبين "الخارجيين" على طريقة اختيار الناخب الاسرائيلي.



ويأتي الخصم الفلسطيني في مقدم هؤلاء اللاعبين، اذ انه صار يسبق حتى الحليف الاميركي، بسبب "الحميمية" التي نشأت من المسيرة التفاوضية. واذا كان للاطراف العرب الأخرى دور في التأثير على الناخب الاسرائيلي، الا ان الطرف الفلسطيني وحده يملك ان يوجه الخيارات. طبعاً، المهمة ليست سهلة على الفلسطينيين. فالتأثير في المجريات الانتخابية الاسرائيلية ليس مثل التفاوض. هنا الطرف الفلسطيني اطراف، ولعل اولها الطرف "الداخلي"، اي الاقلية العربية الفلسطينية في اسرائيل التي تكون احياناً للقوى العاملة في صفوفها رهانات مغايرة لحسابات السلطة الوطنية، مثلما حصل في انتخابات ٢٠٠١. كما ان الساحة الفلسطينية في ذاتها، اي ساحة الحكم الذاتي، لا تُختزل في نظر الناخب الاسرائيلي بقرارات السلطة الوطنية، على الاقل ما دامت هناك فصائل قادرة على التصرف خارج مرجعية السلطة. ومن الواضح في هذا المجال ان لجوء "حماس" او "الجهاد الاسلامي" الى سلاح التفجيرات في العمق الاسرائيلي خلال الحملة الانتخابية لن يعني، اذا حصل، سوى الاقتراع لمصلحة شارون و/او نتنياهو.

لكن الاحجام عن التفجيرات قد لا يكون كافياً، ولا بد من جهد اشمل يقوم به الفلسطينيون اذا وجدوا ان مصالحهم تقضي بازاحة التطرف اليميني، كما يتصور اي عاقل. وفي هذه الحال، قد يكون ضرورياً التفكير منذ الآن في خطوة اكثر دراماتيكية، مثلاً اطلاق مبادرة سلام فلسطينية شاملة، مدعومة باعلان هدنة كاملة (وبفرض هذه الهدنة على الارض)، ومسنودة بموقف عربي واضح على اعلى المستويات. على امل الا تتكرر سابقة انتخابات ١٩٩٦، حين كان الرهان الخفي لبعض العرب انتصار التطرف الاسرائيلي، فوجدوا بين الفلسطينيين من يوصل الرسالة الخطأ الى الناخبين الاسرائيليين.

سمير قصير



Id-Reference	02-Pr-000529	
Media	(Support)	HC
Title		هدنة انتخابية
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تنمة ١٦
Date		٢٠٠٢/١١/٨
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	أرييل شارون - بنيامين نتنياهو - ايهود باراك - عمرام متسناع - اسحق شامير - اسحق رابين - بنيامين بن اليعازر - حايم رامون -
	Locations	فلسطين - اسرائيل - حيفا
	Dates:2001
	Themes	اسرائيل - انتخابات اسرائيلية ٢٠٠١ - اسحق رابين - يمين اسرائيلي - يسار اسرائيلي - عمرام متسناع - حزب عمل - انتخابات اسرائيلية ٢٠٠٣ - ايهود باراك - حكم ذاتي - فلسطين - معسكر سلام - حملة انتخابية اسرائيلية - انتخابات اسرائيلية - سلام عرب - ليكود - ارييل شارون - سياسة اسرائيلية - مسيرة مدريد - حماس - جهاد اسلامي
Subject		